كرم الإمام الحسن (عليه السلام)

<"xml encoding="UTF-8?>

تعتبر صفة الكرم و السخاء من أبرز الصفات التي تميَّز بها الإمام الحسن (عليه السلام) ، فكان المال عنده غاية يسعى من خلالها إلى كسوة عريان ، أو إغاثة ملهوف ، أو وفاء دين غريم ، أو إشباع جوع جائع ، وإلخ .

هذا وعرف الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) بكريم أهل البيت ، فهو الذي قاسم الله أمواله ثلاث مرّات ، نصف يدفعه في سبيل الله و نصف يبقيه له ، بل وصل إلى أبعد من ذلك ، فقد أخرج ماله كلّه مرتين في سبيل الله ولا يبقي لنفسه شيء ، فهو كجدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، وهو سليل الأسرة التي قال فيها ربّنا و تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ، (الحشر : 9) .

وآية أخرى تحكي لسان حالهم :(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وأسيرا إنما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا) ، (الإنسان : 8 ـ 9) .

فهذا هو الأصل الكريم لإمامنا الحسن (عليه السلام) الزكي من الشجرة الطيّبة التي تؤتي أُكلها كل حين ، فمن كريم طبعه (عليه السلام) أنّه لا ينتظر السائل حتّى يسأله ، و يرى ذل المسألة في وجهه ، بل يبادر إليه قبل المسألة فيعطيه .

نذكر بعض الشواهد لهذه الصفة المتميِّزة عند الإمام (عليه السلام) :

1ـ روي أنَّ الإمام الحسن (عليه السلام) خرج مع أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) و عبد الله بن جعفر (رضوان الله عليه) حُجَّاجاً ، فَجَاعوا وعطشوا في الطريق ، فمرّوا بعجوز في خباء لها ، فقالوا : (هَلْ مِن شراب) ؟

فقالت : نعم هذه شَاة احلبوها ، واشربوا لبنها ، ففعلوا ذلك ، ثمّ قالوا لها : (هلْ مِن طَعَام) ؟ فقالت : لا ، إلاّ هذه الشاة ، فليذبحها أحدكم حتَّى أُهيئ لكم شيئاً تأكلون .

فقام إليها أحدهم فذبَحَها وكشطها ، ثمّ هَيَّأت لهم طعاماً فأكلوا ، فلمّا ارتحلوا قالوا لها : (نحن نَفَرٌ من قريش ، نريد هذا الوجه ، فإذَا رَجعنا سالمين فأَلِمِّي بنا فإنَّا صانعون إليكِ خيراً) ، ثمّ ارتحلوا .

وأقبل زوجُها ، وأخبَرَتْه عن القوم والشاة ، فغضب الرجل و قال : وَيْحكِ ، تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ، ثمّ تقولين : نَفَرٌ من قريش .

ثمّ بعد مدَّة أَلجَأَتْهُم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها ، فمرَّت العجوز في بعض سِكَك المدينة ، فإذا بالحسن (عليه السلام) على باب داره ، فَسَلَّمَت عليه ، فعرفها الإمام (عليه السلام) ، وأمر أن يُشتَرَى لها ألف شاة ، وتُعطَى ألف دينار .

و أرسل معها غلامه إلى أخيه الحسين (عليه السلام) ، فقال : (بِكَمْ وصلك أخي الحسن) ؟ فقالت : بألف شاة وألف دينار ، فأمر (عليه السلام) لها بمثل ذلك .

ثمّ بعثَ (عليه السلام) بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال : بكم وَصَلك الحسن والحسين (عليهما السلام) ؟ فقالت : بألفي دينار وألفي شاة ، فأمر لها عبد الله بن جعفر بمثل ذلك ، فَرجِعَت العجوز إلى زوجها بذلك .

2ـ روي أنَّ رجلاً جاء إلى الإمام الحسن (عليه السلام) و سأله حاجة ، فقال (عليه السلام) له : (يا هذا ، حَقّ سؤالك إيّاي يعظم لديَّ ، ومعرفتي بما يجب تكبر عليَّ ، ويدي تعجز عن نَيلك بما أنت أهله ، والكثير في ذات الله عزَّ وجلَّ قليل ، وما في ملكي وفاء بشكرك ، فإن قبلت منّي الميسور ، ورفعت عنّي مؤونة الاحتيال والاهتمام ، لما أتكلَّفه من واجبك فعلت) .

فقال : يا بن رسول الله ، أقبل القليل ، وأشكر العطية ، وأعذر على المنع ، فدعا الإمام (عليه السلام) بوكيله ، وجعل يحاسبه على نفقاته حتّى استقصاها ، فقال (عليه السلام) : (هات الفاضل من الثلاثمِائة ألف درهم) .

فأحضر خمسين ألفاً ، فقال (عليه السلام) : (فما فُعِل بالخمسمِائة دينار) ؟ قال : هي عندي ، فقال (عليه السلام) : (أحضِرها) ، فأحضرها ، فدفع (عليه السلام) الدراهم والدنانير إلى الرجل ، وقال : (هَات من يَحملها) .

فأتاهُ بِحمَّالين ، فدفع الإمام الحسن (عليه السلام) إليهم رداءه كأجور الحمل ، فقال له مواليه : والله ما عندنا درهم ، فقال (عليه السلام) : (لِكَي أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم) .

3ـ روي أنّه (عليه السلام) اشترى بستاناً من قوم من الأنصار بأربعمِائة ألف ، فبلغه أنّهم احتاجوا ما في أيدي الناس ، فردَّه إليهم .

4ـ روي أنّه (عليه السلام) سمع رجلاً يسأل رَبَّه أن يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف الإمام الحسن (عليه السلام) إلى منزله ، وبَعَثَ بها إليه .

5ـ روي أنّه قيل ذات مرّة للإمام (عليه السلام) : لأيِّ شيء لا نراك تردُّ سائلاً ؟ فقال (عليه السلام) : (إنِّي للهِ سائل ، وفيه راغب ، وأنا أستحي أن أكون سائلاً ، وأَرُدُّ سائلاً ، وإنَّ الله عَوَّدني عادة ، أن يفيض نعمه عليّ ، وعَوَّدتُه أن أفيض نِعَمه على الناس ، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة) .

6ـ روي أنّه جاء أعرابي يوماً سائلاً الإمام (عليه السلام) ، فقال (عليه السلام) : (أعطُوه ما في الخَزَانة) ، فَوُجِد فيها عشرون ألف دينار ، فدفعها (عليه السلام) إلى الأعرابي ، فقال الأعرابي : يا مولاي ، ألا تركتني أبوحُ بحاجتي ، وأنشر مِدحَتي .

فأنشأ الإمام (عليه السلام) يقول :

نَحنُ أُناسٌ نَوالُنا خضـل	يرتع فيه الرجـاء والأمــل

تَجودُ قبل السؤال أنفسـنا	خوفاً على ماء وجه مَن يَسَلُ
لو علم البحرُ فَضلَ نائلنا	لغاصَ مِن بعد فيضِـهِ خَجَلُ

7ـ روي في (شرح نهج البلاغة) : أنّ الحسن (عليه السلام) أعطى شاعراً ، فقال له رجل من جُلَسَائه : سبحان الله ، أتُعطِي شاعراً يعصي الرحمن ، ويقول البهتان ؟!

فقال (عليه السلام) : (يا عبد الله ، إنَّ خير ما بذلتَ من مالك ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتِغاء الخير اتِّقاء الشر) .

8ـ أتاه رَجُل يَطلب حاجَة وهو يَستَحيي مِن الحاضرين أن يفصح عنها ، فقال له الإمام (عليه السلام) : (اكتب حاجتك في رقعة وارفعها إلينا) ، فكتب الرجل حاجته ورفعها ، فضاعفها له الإمام مرّتين ، وأعطاه في تواضع كبير .

فقال له بعض الشاهدين ما كان أعظم بركة الرقعة عليه ، يا بن رسول الله ! فقال (عليه السلام) : (بركتها إلينا أعظم حين جعلنا للمعروف أهلاً ، أما علمت : إنّ المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة ، فأمَّا مَن أعطيته بعد مسألة فإنّما أعطيته بما بذل لك من وجهه .

وعسى أن يكون بات ليلته متململاً أرقاً ، يميل بين اليأس والرجاء ليعلم بما يرجع من حاجته أبكآبة ردّ ، أم بسرور النجح ، فيأتيك وفرائصه ترعد ، وقلبه خائف يخفق ، فإن قضيت له حاجته فيما بذل من وجهه ، فإنّ ذلك أعظم ممّا ناله من معروفك) .

9ـ تنازع رجلان ، أحدهما أموي يقول : قومي أسمح ، والآخر هاشمي يقول : بل قومي أسمح ، فقال أحدهما : فاسألْ أنت عشرة من قومك ، وأنا أسأل عشرة من قومي ، يريد أن يسأل كلٌّ عطاء عشرة من قومه ، فينظروا أيّ القومين أسخى وأسمح يداً ، ثمّ إذا عرفوا ذلك أرجع كلّ منهما الأموال إلى أهلها ، كلّ ذلك شريطة أن لا يخبرا من يسألاه بالأمر .

فانطلق صاحب بني أمية فسأل عشرة من قومه فأعطاه كلّ واحد منهم ألف درهم ، وانطلق صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن (عليه السلام) فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم ، ثمّ أتى إلى الإمام الحسين (عليه السلام) فقال : (هل بدأت بأحد قبلي) ؟ قال : بدأت بالحسن ، قال : (ما كنت أستطيع أن أزيد على سيّدي شيئاً) ، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم .

فجاء صاحب بني أمية يحمل عشرة آلاف درهم من عشرة أنفس ، وجاء صاحب بني هاشم يحمل ثلاثمائة ألف درهم من نفسَين ، فغضب صاحب بني أمية ، حيث رأى فشله في مبادراته القبلية ، فردّ الأوّل حسب الشرط ما كان قد أخذه من بني أمية فقبلوه فَرحِين ، وجاء صاحب بني هاشم إلى الإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) يردّ عليهما أموالهما فأبيا أن يقبلاهما قائلين : (ما نبالي أخذتها أم ألقيتها في الطريق) .

من هذه القصص وغيرها الكثير يتّضح لنا كيفية تعامل الإمام الحسن وأهل البيت (عليهم السلام) مع المال ، فهم بتوكّلهم على الله حقّ التوكّل ، يعطوا عطاء من لا يخاف الفقر ، لأنّ الشيطان عندما يرى المؤمن يريد العطاء

يوسوس له ويظهر له قيود كثيرة حتّى لا يبذل المال ، يقول تعالى : (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) ، (البقرة : 268) .